

هاشم حنون...مناسبة للكتابة

خالد خضير الصالحي

الجزء الأول: إختزال الفيض.. والأثر.. والذاكرة
حينما كان الآخرون يسألونني صراحة، وأحياناً ضمناً، وأحياناً أسائل نفسي: كتبت عن هاشم حنون كثيراً، فما الخصيصة التي يتفرد بها، خصيسته التي لا يختص بها غيره؟، أو هو يختص بها دون غيره، كنت أجيب نفسي، وأحياناً أجيب الآخرين، نحن لا ننكر ان هاشم حنون لا يخلو من ان يكون مناسبة للكتابة!، فنحن معشر نقاد الفن التشكيلي وكتابه، قد نتخذ الرسامين مناسبات لطرح تكتيكاتنا في الكتابة، الأمر لا يخلو من ذلك حتماً مثلما ندعي ان الموضوعات، بالنسبة للرسامين، تشكل ايضاً، مناسبات لوضع اللون، وإظهار القدرة التقنية في استخدام مادة الرسم، على سطح اللوحة. ذلك حقيقي، لاشك في ذلك، ولكن لهاشم حنون فرادة تتوفر للقليلين، للقليل من الرسامين، انها (الانقطاع)، الانقطاع الأسلوبى عن المنجز السابق، وعن الموضة الأسلوبية التي تسود مرحلة من مراحل الرسم، فكان هاشم حنون مناسبة ممتازة للعديد من الكتاب للكتابة عبره، عبر تجربته.

استعراض الروح

كتب فاروق يوسف (١٩٩٠) تحت عنوان (هاشم حنون وهو يستعرض روحه)، يعترف بدايتها ان هاشم حنون يستدرجه (أكثر من مرة) للكتابة عنه، ويعترف (ان الكثيرين اتفقوا على ان فضيلة معرض جماعة الاربعة تكمن في انه استضاف اعمال هاشم حنون) ثم يؤكد ان لتجربة هاشم حنون "سحراً عاطفياً لا يقاوم، ومن الصعب تفسيره، أو تفكيك عناصره" ويؤكد ان فرادة هاشم حنون تكمن في أسلوبه الذي ينشد ذاته من خلال "سحر حزن عاصف تطلقه لوحاته، يأتيها من جهة واحدة، هي جهة القلب.. وعلى من يتلقى لوحات هاشم حنون ان يبحث عما ينقصه فيها، لا عما ينقصها فيه، لوحات تنشد ذاتها، غارقة في غناء صوفي قادر على " استحضار مفردات الحياة بكل تنويعاتها.. والنظر الى الامام أكثر من النظر الى الخلف، وستظل هذه الميزة ملائمة له"، فعلى خلاف أفراد جيله الذين التجؤوا الى التعبيرية، فانتجوا فناً متخلفاً في معظمه، وقف هاشم موقفاً مضاداً من هذا التيار " من خلال اتجاه "يظهر ما لا يراه ليعيشه بالحياة ويدفعه باتجاه الخلود" في " واقع ينتمي الى ما لا يظهره أكثر مما ينتمي الى ما يظهره.. فان ما نراه في لوحات هاشم حنون هو الجانب الخفي في ذلك الموت المقدس"، "انه الشاهد الذي رأى ما لم نره. وأظهر ما لم يره" ذلك كان معرضه الأول.

لغة الاختزال

كتبت خولة ابراهيم تحت عنوان (العناوين مفاتيح والاختزال لغة) تلمست فيه جوانب الفرادة في تجربة هاشم حنون من خلال متحقيين هما: " ما يميز موضوعه، من خلال التحدي القائم على مواجهة الموت بالحياة، فصاغ لنا تجربة الحرب التي عاشها قاسية عنيفة" ومن خلال " التنوع في طريقة تعبيره، حيث يلجأ الى الاكربيليك على الورق من مواد مختلفة، فتزدحم التفاصيل، والتكوينات، وتنوع المواد" مما يؤكد فرادته من خلال "قدرات لونية متفوقة"، ومن خلال التجريب المتواصل، والإحساس العميق بدور اللون في عملية إخراج اللوحة، والاهم هو في عملية الاختزال.

القوس المحمول

يكتفي الفاص محمد خضير "الاستدلال بلوحة واحدة من لوحات هاشم حنون لتلخيص مدلولات رؤية كلية موزعة على اللوحات"، حيث " تحققت بأسلوب اختزالى جعل الأشكال المشخصة تخلي مسرح اللوحة لمصلحة شبح الفكرة.. الفكرة المحمولة على الأكتاف في حركة خفية متجانسة مع الاقدام الثقيلة في لوحة الشهيد المحمول". وكانت الأزاحة التي يحددها محمد خضير هي إزاحة ذات طابع شكلي إضافة للإزاحة في الجانب الدلالي، فقدم هاشم حنون من خلاله " تصوراً طقسياً أصيلاً متصلاً بالتضحية المقدمة في وضع أفقي، مغايراً بها وضع العروج العمودي للشهداء.. ثم يستأنف عمله في لوحة (الجريح المحمول) محولاً الخط الأفقي الى قوس يستكمل وضع الشكل المحمول في فضاء اللوحة بشظايا وخدوش وأشكال هامشية" وبذلك يركز محمد خضير على بنية خفية يبني من خلالها هاشم حنون تجربة مرحلة أسلوبية ضخمة.

أعمال بصرية

تنتهي نادية احمد الى ان فرادة هاشم حنون "في استخدامه اللون وتعامله معه، فهو ينطلق مرة وتندفق الوانه جميلة زاهية .. وتخبو مرة أخرى وتغدو الوانا معتمة بعلوها الدخان والعممة والحزن الساكن في الوجدان".

حوارية الجسد

انتهى سعد القصاب في مقال بهذا العنوان (١٩٩٠) الى ان فرادة تجربة هاشم حنون ذات جوانب متعددة تمتد من محاولة دائمة لاكتشاف صورية.. وتجريبية التكوين في اللوحة" الى " الاستعانة بانشائية تتداخل فيها تفاصيل بريئة

للواقع مع توظيف رموز وأشارات ذات منحي بدائي في نسيج الشكل وخلفيته.. حيث تتقدم مشهدية التكوين قبل مقتربه التعبيري"، ويخلص الى ان "أثر التجريبية المتحقق ساعد في إطلاق مديات تحاور المتخيل وتصور معنى.. لحضور حدود جديدة للمادة".

اختزال العناصر

أقام هاشم حنون عام ١٩٩٥ معرضاً شخصياً شكل حدثاً في نيسان على قاعة حوار في بغداد تدعى للكتابة في مطويته ثلاثة من كتاب البصرة: محمد خضير، وحسين عبد اللطيف وكتب هذه السطور اضافة لمجتزات من ثلاثة كتاب آخرين: مي مظفر التي تقول (١٩٩٠) ان تجربة هاشم حنون فيها " تحول الانغمار في الحدث الى مشاهدة متأملة متأنية في الذاكرة، وتحول الإنسان الى أثر تمثل في مشاهد القبر أو في قوس أو حجر، أثر يحمل اشارات تاريخية، فمأساته وجرحه وانتصاراته خطوط تزين ذلك الأثر".

وفاروق يوسف الذي اجتزى جزء من مقالته التي تطرقنا اليها في مفتتح موضوعنا هذا، وعاصم عبد الامير في مقال نشره في مجلة الاقلام (١٩٩٣) ويخلص فيه الى اهمية الطابع الشعري في لوحة هاشم حنون الي ان "الوقائع لدى هاشم حنون تمثل طبقة تالية، وتصل اليها كما لو كانت نداءات بعيدة لكنها لاهثة، فهو يعول كثيراً على هذا النمط من القراءة بمعنى تأييده لفكرة استدراج العين واعتبارها طرفاً ستراتيغياً في الحوار البصري المقترح كي تفعل الإشارات بعدئذ- فعلها على الذهن، هناك حيث يتراءى لنا اننا إزاء فناء يرقى بالنوازع والتراجيديات نحو تخوم الشعرية". تناول كتاب البصرة مختلف جوانب تجربة هاشم حنون في تلك المرحلة الا انهم، ثلاثتهم، كانوا مأخوذون بقدرة تجربة هاشم حنون على الاختزال، اختزال متعدد السمات، يتساقق وضخامة تجربة هاشم حنون، فمن خلال موضوعة (اختزال الفيض) يؤكد محمد خضير، القاص البصري، ان الرسام قد "اختار ان تكون اللوحة مجالاً أساسياً لجاذبية متوحدة، لاجزاء صادراً من موضوع، بل اكتنفاً لموضوعية اللون وتعبيرية الإشارة في رؤيا جمالية مختزلة" فقد سبق وان "اختزل أشكال الفراغ في اصغر مساحة تصويرية".

ويلخص الشاعر حسين عبد اللطيف تجربة هاشم حنون في "تمركزها حول (إحساس) لا حول (موضوع) ذي سردية، كانت التفاصيل فيها غير محتشدة أو زاخرة بل مختزلة الى حدودها القصوى.. وضمن توجه وزهد في استعمال اللون".

وركز كاتب هذه السطور في موضوعة (هاشم حنون.. العين والذاكرة) على التحولات الأسلوبية لدى هاشم حنون "ومسبباتها الجوهرية" بسبب "تغير فهمه لدور السطح التصويري.. باتجاه محاولة تحقيق اقتراب اكبر من شبيئية اللوحة، و "تحول فهمه للوحة باعتبارها سطحاً مسكوناً بالألوان والخطوط والأشكال.. ويخضع لضروب شتى من التجارب الشكلية والتقنية" وانتهى كاتب السطور الى ان "ذاكرة هاشم حنون خزنت نماذج لا حصر لها من (كتابات أولى) مثلتها مختزلات صورية انفصلت عن وجودها اللغوي" والتشخيصي الأول. يمكن القول إذن ان فرادة تجربة هاشم حنون هي المناسبة التي لها القوة على "استدراج" الآخرين لها.. فرادة تنوعت واغتننت قدر تنوع وغنى تجربة هاشم حنون ذاتها.